التأثير المتبادل بين اللغتين الفارسية و العربية

علی‌اوسط ابراهیمی*

الملخص

بحثت في هذه المقالة عن تأثير احدى اللغتين الفارسيّة و العربيّة في الاخرىٰ و صلة الشعبين قبل الاسلام و بعده بينهما. و بحثت حول الصّلات الاجتماعيّة والسياسيّة وأسلوب الحكومة، وتلك الآثار الأدبيّة التي تدور حول مواضيع و معان مشتركة، وتلك المفردات التي انتقلت من احدي اللغتين الى الأخري وكيف تسلط الضّحاک العربي علي بلاد ايران وكيفيّة عزله من الحكومة من ناحية كاوة الحدّاد وأفريدونغ. كما بحثت في اتّصال زال بن سام مع رودابة السيدة العربيّة. و هي بنت مهراب ملک كابل الذى كان من سلالة الضحّاک اليمني و زواجه، و ولادة رستم بطل الشاهنامة، وكما جاءت فيها خلاصة قصّة سابور الفارسي مع نُضيرة العربيّة التي تتّصل بالواقع من التخيّل الأسطوريّ. و تسرّب انعكاسه الي الشعر العربي و يدلّ على أنه كان رجلا عجيباً. و نظم الشعراء فيه أشعاراً كثيرة.

وقد ذكرت الحيرة و تاريخ بنائها و كيفيّة التبادل اللغوي و الأدبي التّي نريها من ناحية الحكّام و تابعي الملوک الايرانيين. و تطرح أخبار بهرام جور مع النعمان بن المنذر مربيّه، و العلاقات السياسيّة والتجاريّة و المبادلات اللغويّة و الثقافيّة التّي كانت بين هذين الشعبين.

الكلمات الدليلية: الصلة الاجتماعيه، الثقافة، التأثير والتأثربين الشعبين، الأسطوره.

---

*. استاذ مشارک ـ جامعة دارالمعلمين (عضو هيئت علمي دانشگاه تربيت معلم)

حينما نتحدّث عن الصّلات بين أدب الفرس و العرب، نعني بحديثنا تلك الآثار الأدبيّة التي تدور حول مواضيع و معاني مشتركة، و تلك المفردات التي انتقلت من احدى اللّغتين الي الأخري نتيجة لاتصال الأمّتين في تاريخهما الطويل بالجوار أو عن طريق التجارة و تبادل المنافع أو الحروب والعلاقات السياسيّة.

والصّلات بين الفرس و العرب قديمة تمتدّ أصولها الي أبعد من التاريخ المدوّن، تمتدّ أصولها الى تلك العصور التي يستترها ماقبل التاريخ، تلك العصورالتي يعوز المؤرّخ الوسائل العلميّة في تحقيق أخبارها و مروياتها، فيلجأ الي الأساطير المأثورة المتواترة. فاذا رجعنا نحن في بداية حديثنا الى تلك الأساطير الفارسيّة التي بوّبت و تسلسلت، فأخذت نسقاً يجعلها أشبه بالتاريخ المكتوب، رأينا الفرس، قد اتصلوا بأنماط شتّي من الأمم منهم الصين و الترك و الهنود و الروم و اليونان و العرب، ولكنّ العرب كانوا أسبق تلك الأمم اتصالاً بالفرس، فهم اوّل الوجوه التي تفد علينا في شاهنامة الفردوسي ـ كتاب الملوك الذي نظمه شاعر الفرس الكبير أبوالقاسم الفردوسي في حوالي ستّين الفاً من الأبيات ـ كما أنّهم آخر الوجوه التي ـ تقع عليها العين في ختام تلك الملحمة الكبري.

وايجاز هذا هوأنّ ملوك الفرس الأوائل من عهد كيومرث الى اواخر عهد جمشيد، كانوا ملوك العالم قاطبة، يدين بطاعتهم الانس و الجنّ، ولاينازعهم منازع في الملك، ولكن جمشيد الذي تصوره أساطير فارس في صورة تجعله شبيه سليمان عليه السلام، ممّا حمل بعضا على القول بأنه هو سليمان النبي نفسه. جمشيد هذا أسكره سلطانه الواسع وثراؤه العريض في آخر عهده، ففسق عن أمر ربّه و استنكف عن عبادة خالقه، بل ذهب الي أبعد من هذا فادّعي الألوهيّة (بدري، ١٩٦٢: ٧٢،٧٣) و دعا الناس الى عبادته فسلبه الله نعمته و سلط عليه الضحّاك بن مرداس ملك اليمن، فبغته بجنود لاقبل له بها، ففرّ جمشيد و تعقبه الضّحاك الى أن أدركه على ساحل بحر الصين، فقدّه بالمنشار نصفين، و تزوّج أختيه احداهما «ارتواز» والأخرى «شهرناز» (صفا، ١٣٤٩: ٢٢٩ و ٢٢٥ و ٢٥٢). و استولى الضّحاك على ملك جمشيد الف عام، سام الناس فيها ألوان العسف و العذاب،

فلمّا جاوز المدى أدانَ اللّه للفرس منه على يد ملكهم (افريدون). قدسمّي الضحاک في أقستا على الاسمين المختلفين «أجيدهاک وأجي» يكون أفريدون بعد جمشيد من أعظم الملوک و الأبطال القصصيّة في الملحمة القوميّة لايران، و كان هو من نسل جمشيد بن آبتين، و كانت أمّه فرانک، و حين ولادته، ولدت بقرة، كان اسمها «برمايه أومليئة الزاد».

قد قتل الضّحاک آبتين، و سلم مُخَّه الى الحيّات، و فرّت فرانک الي الغابة و سلّمت أفريدون الى حارس «برمايه» و قدترعرع أفريدون بحليب «برمايه». ولمّا اطّلعَ الضّحاک على حديث «برمايه و أفريدون»، حملت فرانک أفريدون معها و فرّت من ايران، و كذلک قتل الضّحاک «برمايه» و لمّا نشأ أفريدون ترعرع، تشمّر لثأر أبيه، و كان على هذا مصمّما، طغى كاوة الحدّاد على الضّحاک وجاء عند أفريدون، وانتخبه على الملک، و قد رزق أفريدون أولاداً ثلاثه و كان اسمهم، ايرج و سلم و تور، وزوّجهم من أخوات ثلاث هنّ بنات (سروا) ملک اليمن و قد قسم مملكته ثلاثة أقسام.(نفس المصدر، ص ۴۶۱ و ۴۶۲؛ بدوى، ۱۹۶۲ م: ۷۳)

كذلک نرى البطل (زال بن سام بن نريمان) يتزوّج (روذابه) المخدّرةالعربيّة بنت (مهراب) ملک كابل سليل الضحّاک اليمني، فتلد له (رستم) بطل أبطال الشاهنامه و حامي حمى ايران، و يتزوّج الملک كيكاوس، سعدى بنت ذي الأذعاربن المنارين الرائش الحميري، فتمثل مع ابن ساوخش (وزليخا) مع يوسف عليه السّلام، و تنتهي ملحمة الفردوسي بفتح العرب فارس و زوال دولة الفرس على أيديهم.

و بعد ذكر سُعدى العربيّة المسمّاة عندالفرس بسودابة تذكر قصّة فتاة عربيّة أخرى تسمّى نضيرة مع سابوربن أردشير الساساني الذي ينسب اليه بناء مدينة نيسابور و فتح جزيرة العرب بعد فتح أرمينيّة، و نُضيرة هذه ابنة ملک الحضر الضيزن بن معاوية القضاعي، و يسمّى الساطرون في بعض الكتب قيل: ان الضيزن أغار على فارس و أوقع في الأسرأخت سابور أو عمّته، فسار سابور اليه و هو في الحضر بين دجله و فرات،و بينما كان حصار الفرس الشديد مضروبا على المدينة، أطلت نَضيرة من برج على عسكر

سابور ذات يوم، و لمحت سابور وراقها منه حسن سمته، فصبت اليه حتى حزّ حنينها و امتنع قرارها و سلبها الهوى تهاها، و هدتها فطنتها الى حيلة تجمعها بسابور، فكتبت على سهم قولها: «اذا وعدتني بأن أكون زوجاً لك وأن تعاشرني بالمعروف، فاني دالتك على موضع في المدينة يمكنك الدّخول منه بغير مشقة، ورمت السهم بحيث يتلقفه سابور. و ماقرأ ما كتب عليه حتى تناول سهماً كتب عليه أنّه يعدها بانجاز ماتتمناه، فكتبت اليه تدلّه على الموضع، ولمّا مضى هزيع من الليل، حملت طعاماً و خمراً الى الحرّاس فطعموا و شربوا حتى ثملوا، و تحين سابور و رجاله سكرتهم و غفلتهم، فانسلوا في استخفاء حتى دخلوا المدينة و قتلوا الضيزن و هو متربّع على عرشه، وأنجز سابور ما وعد، وسعدت نضيرة بزوجها ملك الفرس (مجيب المصري، ٢٠٠١ م: ١٣ و ١٤). هذا مجمل قصّة سابور الفارسي مع نضيرة العربيّة التي تخرج من الخيال الأسطوريّ الى الواقع التاريخي، و حقيق بالذكر أن ما وقع بين سابور و الساطرون بالذّات، كانت له أصداء ترددّت في الشعر العربي ممّا يدل على أنه كان أمر اذا بال أفسح للشعراء مجالاً للقول ذا سعة. قال أبودؤاد الايادي:

و أرى الموت قد تدلى من الحصـ وعـــلى ربّ أهـــله الســـاطرون

و هوفي هذاالبيت يتوجّع لمصير هذا الملك العربي ويتفجّع على تمزّق ملكه، كما وصف الأعشى الحضر و الحصار الذّي ضربه سابور عليه بقوله:

ألم تـــرالحضر اذا أهـــله بنعمي و هل خالد من نعم

أقـام بـه شـاهفور الجنو د حولين يضرب فيه القدم

(نفس المصدر)

فاذا تركنا الأساطير و الملاحم الى التاريخ رأينا المؤرخ يقول: انّ قمبيز تغلب على الجزيرة العربيّة وأدخلها ضمن أملاكه و قد نتج عن استيلاء الفرس على معظم الهلال الخصيب اتصالهم بالعرب اتصالاً تامّاً، و عندما قام قمبيز بغزومصر استعان بالعرب فأمدّوه بالجمال و موّنوا قواته بالماء و ساعدوه مساعدة لولاها لما تمكّن من عبور سيناء

والوصول الى مصر، ويحدّثنا هيرودُت أبوالتاريخ عن عقد معاهدة بين قمبيز و العرب و مساعدتهم له فى فتح مصر، و يقول كذلك أن العرب كانوا يقدمون لدارا جزية سنوّية من الطيب، و انه كان من بين فرق الجيش الفارسي في مصر فرقة عربيّة يرأسها أحد أبناء دارا. و قد ألف الفرس أيضاً ـ بالاضافة الى الجنود العرب المشاة ـ كتائب عربيّة من الهجّانة تحارب على الابل و خاصّة في سروب البوادي التّي يصعب على الفرسان و المشاة اجتيازها.(تاريخ العرب قبل الاسلام: ٣٣٦ و ٣٤٣)

فاذا تقدّمنا الى العصر الساساني رأينا المستشرق كريستنسن يقول في كتابه (ايران في عهد الساسانيين): «ثمّ أخضع أردشير ولاية ميسين الصغيرة عند مصبّ دجلة في الخليج الفارسي، وكان يحكمها و قت ذاك العرب الوافدون من عمان سابقين في ذلك القبائل العربيّة التّي وفدت فاستقرّت في الحيرة غربي الفرات في نفس الوقت الذي قامت فيه الدّولة الساسانيّة». أمّا الحيرة وملوكها من المناذرة وصلاتهم بالفرس فالكلام عنها من نافلة القول و يكفي للتدليل على وثاقة هذه الصّلات أن نري الطبري والدينوري وابن الأثير يربطون دائماً بين تاريخ الحيرة وتاريخ الفرس.

و قد كانت الحيرة معقلاً للنصرانيّة ولها أساقفتها قبل الاسلام، كما اشتهرت بطيب هوائها وأكثر الشعراء من ذكرها في الجاهليّة والاسلام ولم تكن تبعد كثيراً عن النجف والكوفة. و قد أدّى ميلاد الكوفة في الاسلام الي أفول نجمها و تحول النّاس عنها الي المدينة الاسلاميّة الجديدة بل يقال إن أنقاض أبنية الحيرة استخدمت في بناء الكوفة ممّا أدّى الى اندثارها وزوال معالمها.

واختلف في تاريخ بناء الحيرة واسم بانيها، ويستخلص ممّا جاء في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام أنّ مؤسّس الحيرة (بختنصر) و يعزي اليه كذلك بناء الأنبار و يذهب البعض الى أنّ بانيها هو «أردوان» الملك الأشكاني و يعزو أهل اليمن بناءها الي تُبّع.

و على هذه الرّوايات تكون الحيرة أقدم من بني ساسان سادة المناذرة، و قد كانت اليمن ولاية فارسيّة عليها ولاة من الفرس، و تصل اليها تجارة فارس في خفارة

العرب.(بدوي، ١٩٦٢ م.: ٧٣ و ٧٤)

و في امارة الحيرة فقد كان كثيراً من محكم الروابط بين العرب و الفرس، و هي امارة منح أردشير بن بابك الساساني أهلها استقلالهم ليأمن جانبهم و يذود عن نخوم بلاده غارتهم، و يستظهر بهم على غيرهم من العرب و الرومان المغيرين على فارس. وكان عرب الحيرة يحكمون أنفسهم حكماً ذاتياً في ظلّ عرش مليكهم بأنما تبعية ملكهم لملك الفرس، فكانت في حدود مايتفقان عليه و يرضيان به.(پيرنيا، ١٣١١، ج ١، ص ٤٨٦؛ مجيب المصري، ٢٠٠١ م.: ١٧ و ١٨)

و قد أحبّ بهرام ملك الفرس المنذر حبّاً جمّاً و فوّض اليه جميع أرض العرب، وكان مديناً له بالفضل لأنّه أخضع العرب و ردّهم الى طاعة الفرس، و لنا أن ندرك من ذلك أنّ سيطرة الفرس لم تكن على مناطق كثيرة آهلة بالعرب. وأيّد الساسانيون المنذر تأييداً قوياً ممّا هيّأ له أن يتخذ سياسة خارجيّة ايجابيّة بعد مداها حتّى بلغ أواسط الجزيرة العربيّة، كما وصلت جيوشه الى بيزنطة التي أوقعت الرعب في نفوس أهلها.

و كان بهرام جور بن يزد جرد في كنف النعمان بن المنذر ملك الحيرة، أرسله أبوه اليه ليبقى عنده و يتأدّب بآداب العرب و يعرف أيّامها و أخبارها و لغاتها.

و من أخبار بهرام جور مع النعمان بن المنذر مربيه أنّه رشق ظاثرين بسهمين و فوس واحدة فهويا أمام النعمان الذي أخذه العجب من مهارة بهرام في الرماية، فالتفت اليه قائلاً: «يابنيّ لاوجود لرام مثلك في هذه الدنيا و لن يكون».(حبيب، ١٣٢٣: ٥٥)

و بلغ بهرام جور أنّ الفرس ملكت عليها رجلاً ليس من أبناء ملوكها، فاستعدى النعمان بن المنذر واستنجده و قال: «انّ لي عليك حقّاً. اذ كنت أحد أولادك، و انّ أبي قد مات و ملكت الفرس رجلاً من غير بيت الملك، فان كنت خاذلتني ذهب ملك آل ساسان»، فردّ عليه النعمان بقوله: «ما أنا و آل ساسان، و هم ملوك و أنا رعيّة؟ ولكنّي أخرج معك في جيشي لتقوى نيّتك و تصح عزمتك، ثمّ أنت أولى بقومك، و هم أولى بك، قال: «لهذا، ما أريد».

فخرج النعمان مع بهرام حتّي صاربالمدائن، و بلغ الفرس قدومهما، فالتقوا بهما، و لمّا طلب بهرام ملک أبيه وارث آل ساسان قالوا له: انّ أباه سامه العذاب و لاحاجة في أحد من عقبه، ولكن بهرام أقنعهم ببراءة ساحته من ظلم أبيه لهم، فألزمهم حـجّته و مـلكته الفرس أمرهم، وانصرف النعمان الى الحيرة.(جاحظ، ١٩١٢: ١٦٤)

و ان دلّ على شيء، فهوالدليل القاطع على أنّ هذا الأميرالفارسي قد استردّ ملک آبائه الأمجاد من آل ساسان بفضل من النعمان بن منذرالذّي ظاهره...

و قد تأكّدت صلة المودّة بين العرب و الفرس، وكان مظهرها ذلک العون الحربي الذي بذله أنوشيروان لملک اليمن سيف بن ذي يزن، فلمّا أقبل مسروق بن أبـرهة بـالحبشه واحتلّ اليمن عام (٥٢٢م)، إستجاش ابن ذي يزن بفارس، فوجّه كسرى أنوشيروان معه وهرز الأسوار في ثلاث مائة كان أخرجهم من الجيش على أنهم ان ظفروا و كان الظفرله، و ان قتلوا كان قد أراح النّاس من شرّهم، و سمّي جيش الفرس هذا بجيش النجّاة، وقد شدّ وهرز حاجبه بعصابة و قال:«أروني ملكهم»، و قالوا:«هوصاحب الفيل»، قال: «كفواعنه فانّه على مركب من مراكب الملوک»، و عاقبة الأمر هذه الفئة بحماية أتباع سيف هزمت الحبش و أخرجتهم من اليمن، وانتخب الايرانيّون سيف ملكا واسندوه عـلى الـسـرير. وكان هذا الفتح في سنة ٥٧٠م.(دهخدا، نقلاً من فرهنگ معين)

قيل: وكان أنوشيروان عهد الى و هرز و أعطاه تاجاً و خلعة و منطقة وقال له: اذا صرت الى اليمن فاسأل أهل اليمن عن هذا الرّجل يعني سيف بن ذي يزن، فان كان من الملوک فسلم اليه الأمرو ألبسه التاج والخلعة والمنطقة، وان لم يكن من الملوک فابعث اليّ برأسه واضبط البلاد الى أن يأتيک أمري، فسأل وهرزأهل اليمن عن سيف، فقالوا: ملكنا وابن ملكنا و القائم بثأرنا، فألبسه التاج والمنطقة والخلعة وسلم الأمرله.(مجيب‌المصرى، ٢٠٠١ م.: ٢٠-٢١)

ولم تكن الروابط بين العرب و الفرس قائمة علي مجرّد الوفادة والتـبعيّة الـسـياسيّة والصّلات التجاريّة، بل كان الأكاسرة يستخدمون العرب في دواوينهم كمترجمين وكتاب و مـستشارين.

يقول جرجي زيدان:«وكانوا (اي الفرس) يستخدمون العرب في دواوينهم للكتابة أوالترجمة بينهم و بين من يفد على ملك الفرس من عرب الحجاز أو اليمن أونجد و خصوصاً بعد أن دخلت اليمن في حوزتهم على عهد كسرى أنوشروان. و أشهر كتاب العرب في دواوين الفرس آل عدي بن زيد من الحضرية، وكان عدي و أبوه وجدّه من مهرة الكتاب على قلة من يحسن الكتابة من العرب في ذاك العهد، و كانوا يخدمون الفرس في دواوينهم. فجدّه حمار بن زيد بن أيوب كان كاتباً عند النعمان في الحيرة و تقرّب من الفرس، ولد له زيد فأوصى به الى دهقان كان صديقاً له و هو من أهل الدّولة، فربّاه الدهقان و علمّه الفارسيّة فنبغ في اللسانين، فتقدّم الدّهقان الى كسرى أن يولّيه البريد و لم يكن ينال هذا المنصب الا أبناء العرازبة، فتقدّم زيد في الدّولة حتى صار كسرى يستشيره في مهامه، و ولد لزيد ابنه عدي و تثقّف و تعلّم مثل أبناء الأساورة و أتقن ألعاب الفرس على الخيل بالصوالجة، فقرّبه كسرى و جعله كاتباً في ديوانه بالمدائن و صار من أصحاب السطوة والكلمة النافذة، و كسرى يأذن له مع الخاصّة و يبعث به في المهمّات الكبرى الي ملك الرّوم و غيره، و اذا فسد العرب على الفرس و تمرّدوا توسط عدي في اصلاحهم، و اذا مات ملك العرب في الحيرة لا يولي كسرى من يخلفه الّا بمشورة عدي (زيدان، ١٣٦٩، ج ٢، ص ١٣٢)

و لم تكن صلات الفرس بالعرب مقصورة على اهل السواد و الحيرة و اليمن بل يروى كذلك أنهم كانوا يعظمون البيت الحرام فكانوا يحجّون الى مكّة ويطوّفون بالبيت و يزمزمون على بئر اسماعيل و يهدون الى الكعبة، وفي ذلك يقول المسعودي في مروج الذهب «قد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام و تطوف به تعظيماً له ولجدّها ابراهيم عليه السلام وتمسّكا بهديه و حفظاً لانسابها. وكان آخر من حجّ منهم ساسان بن بابك و هو جدّ أردشير بن بابك و هو أوّل ملوك ساسان وأبوهم الذي ينسبون اليه كرجوع ملوك المروانية الي مروان بن الحكم و خلفاء العبّاسيين الى العبّاس بن عبدالمطّلب و لم يولّ الفرس ثانية أحد الا من ولد أردشير بن بابك هذا فكان ساسان اذا

أتى البيت. طاف به و زمزم على بئراسماعيل فقيل انّما سميّت زمزم لزمزمته عليها هو و غيره من فارس و هذا يدلّ على كثرة هذا الفعل منهم على هذه البئر و في ذلک يـقول الشاعر في قديم الزمان: (بدوى، ١٩٦٢م.: ٧٥ و ٧٦)

زمزمت الفرس على زمزم　　و ذاک من سـالفها الأقـدم

و قد افتخر بعض الشعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلک فقال:

و مـازلنا نـحجّ البيت قدماً　　ونـقلي بـالأباطح آمـنينا

وساسان بن بابک سار حتى　　أتي البيت العتيق يطوف دينا

فـطاف بـه و زمـزم عـندبئر　　لاسـماعيل تـروي الثأر بـينا

و كانت الفرس تهدي الى الكعبة أموالاً في صدر الزمان و «جواهر، و قدكان ساسان بن بابک هذا أهدى غزالين من ذهب و جوهر و سيوفاً و ذهباً كثيراً فقذفه في زمزم».

هذه الروايات كلّه ماكان منها أسطوريّاً خرافيّاً أو تاريخيّاً محققاً تدلّ دلالة واضحة على ماكان بين الفرس والعرب قبل الاسلام من صلات و روابط قويّة، و ان كلا من الأمتين كان على معرفة تامّة و ارتباط وثيق بالأخرى، فلمّا جاء الاسلام و فتح‌اللّه على المسلمين فارس زالت كافة الحواجز والسّدود بين البلدين و دخل الفرس في دين اللّـه أفـواجاً وأصبحا أمّة واحدة يجمعها الدّين تحت راية الخلافة، وصارت العربيّة لغة العلم والأدب في فارس و شبه جزيرة العرب على السواء، وظهر في كلا البلدين أدب جديد لم يک لكليهما به عهد قبل ظهور الاسلام واندماج الفرس والعرب في دولة واحدة.(نفس‌المصدر، ص ٧٧؛ مجيب‌المصرى، ٢٠٠١ م.: ٢٤)

و غني عن البيان أنّ الأسفار كانت سبباً لتناقل الأخبار، وحسبنا في هذا الصـدد أن نشير الي ماجاء في سيرة ابن هشام من أن رجلاً عربيّاً يسمّي النضر بن الحارث كان من شياطين قريش، وقد توقد صدره من الحقد على النبيّ (ص) فتعرض له بالأيذاء، و كان النضر قد قدم الحيرة التي شاعت بين أهلها أحاديث ملوک الفرس وأقاصيص رستم و اسفنديار، فتعلم منها ما تعلم حتى أصبح في مكنته أن يرويه ويطيل الكلام في ذكـره.

واتّخذ من ذلك وسيلة الى الاضرار بالنبي، فكان اذا جلس(ص) مجلساً فذكر فيه بالله حذر قومه ما أصاب الأمم قبلهم من نقمة الله، خلفه في مجلسه و قال: أنا يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فأنا احدّثكم أحسن من حديثه، ثم حدّثهم طويلاً عن ملوك الفرس الأقدمين و أخبار رستم و اسفنديار، ثمّ يقول لهم: بماذا محمّد كان أحسن حديثاً منّي؟ (ابن‌هشام، ١٩٣٦، ج ١، ص ٣٢١)

و يذكر النضربن الحارث ان أباه الحارث بن كلدة الذي رحل الى بلاد الفرس و تعلّم الطبّ في مدينة جنديسابور، تهيّأ له أن يطلب بعض عظماء الفرس فكافأه كسرى على ذلك بمال جزيل و وهبه جارية سمّاها الحارث سميّة، و هي أمّ زياد بن أبيه(البيضاوي، ١٩٢٧م.: ٥٢٣)، ثمّ عاد الحارث بن كلدة المتوفى عام ١٣١ هجري)الى الطائف، و أشاع علم الطبّ بين العرب. وحقيق بالذكر أن أطباء العرب المشاهير درسوا علم الطبّ في فارس (القفطي، اخبارالحكماء:١٩١؛ نقلاً من مجيب المصري، ٢٠٠١ م.: ٢٤)

و تبلغ آخر القول في المثلة بين العرب قبل الاسلام بذكر مولد النبي (صلّى الله عليه). والراجح أنّه ولد عام الفيل في الثانية والأربعين من ملك كسرى أنوشيروان، و كان على الحيرة يوم ولد عمروبن المنذر بن امري القيس و هو عمروبن هند(المقريزي، ١٩٢١: ٢). و تواترت الأخبار بأنّه في الليلة التي ولد فيها الرسول ـ عليه الصلاة والسّلام ـ ارتجس ايوان كسرى و هوت منه احدى عشرة شرفة، كما خمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة. ورأى الموبذان أي قاضي قضاة فارس في المنام ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد عبرت دجلة وانتشرت في بلاده، و لمّا أصبح كسرى أنوشيروان أفزعه أن يرتجس ايوانه و تهوي شرفاته، كما تخمد النّار في بيت النّار بمدينة اصطخر، فجمع أهل مشورته من وزرائه و مرازبته، و حدّثه الموبذان عن تلك الرؤيا التي رآها و فسّرها بحادث يكون من عندالعرب، و كتب أنوشيروان الي النّعمان بن المنذر يأمره أن يوجّه اليه رجلاً من أهل العلم يسأله و يستخبره، فأشخص اليه عبدالمسيح بن عمرو الغساني(جودت، ١٣٠٠: ٨٩) و سأله كسرى فقال عبدالمسيح: انّ علم ذلك عند خال له يسكن مشارف الشام يقال له

سطيح. و رحل عبدالمسيحى الي سطيح و قد أشفى على الموت، و أنشده شعراً، فلمّا سمعه و كان كاهناً يسجع في كلامه كالكهّان و رفع رأسه، قال عبدالمسيح على جمل يسيّح الى سطيح و قد أو فى على الضريح، بعنك ملک بني ساسان لارتجاس الايوان و خمود النيران و رؤيا الموبذان، و رأى ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاده، يا عبدالمسيح، اذا كثرت لتلاوة و بعث صاحب الهراوة وفاض وادي الساوة وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نارفارس فليست الشام لسطيح شاما، يملک منهم ملوک و ملكات على عدد الشرفات، وكلّ ما هوآت آت، ثمّ مات سطيح فقام عبدالمسيح و على راحلته و هو يقول:

ان يک ملک بني ساسان أفرطهم — فانّ الدهر أطوار دهارير
فربّما ربّما أضحوا بمنزلة — تهاب صولهم الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح مهران واخوته — والهرمزان و سابور و سابور

و عاد عبدالمسيح الى كسرى بما من كلام الكاهن فقال كسرى: مَن يملک منا أربعة عشر ملكاً قد كانت فيه أمور، فملک منهم عشرة أربع سنين، و ملک الباقون الى ملک عثمان بن عفان.(مجيب‌المصرى، ٢٠٠١م.: ٢٩)

صلة الأدب الفارسي بالأدب العربي

تأثير اللّغة الفارسية على اللّغة العربيّة الجاهليّة

لم يتم حتى الآن عمل مفيد حول تأثير اللّغة الفارسية على آثار العرب الجاهليّة.

فاالصّديقي في كتابه الذي نشر فى سنة ١٩١٩ م باللغة الجرمنيّة عالج بالبحث الجانبي للعمل و لم يحمل نفسه بأساس الكلمات العديدة.

انّ كتاب المفردات الأجنبيّة في القرآن لآرتور جفري أحسن كتاب كتب في هذا المجال حتّى الآن، للحديث الذّي يحتوي كلمات كثيرة متداولة في الجاهليّة، لم يفعل فيه فعلٌ اساسيٌ حتى الآن. انّ في ثلاثة أو أربعة نقوش كُشفت باللغة العربيّة في عصور قبل

الاسلام أنما توجد فيها كلمة واحدة فارسيّة باسم «تاج» و بالعكس انّ الكلمات الفارسيّة كثيرة في الأشعار الجاهليّة غير أنّ هذه الأشعار لاتكون أسناداً معتبرة كاملة. قد حذفت طائفة من الكلمات الفارسية المتداولة من هذه الأشعار عند الجاهليين. أو أضيف بعض الكلمات الشهيرة اليها في العصر الاسلامي. عليهذا يعتبر الشعر الجاهلي مع كلّ النواقص والمعايب التّي تكون فيه، هوالسّند الواحد الذّي يكون لدى الباحثين، كما يستنبط من القرآن و الحديث و أخبار الجاهليين. لايحتوي الشعر الجاهلي كلّ الكلمات الفارسيّة الراهنة في ذلك العهد. ربّ كلمة لاترتبط بالمعاني الشعريّة والشاعريّة ولم يهتم الشعراء، ولكن توجد في الأخبار والأحاديث التّي تختصّ بالأشعار.

كانت الكلمات الفارسيّة تستخدم في المجالات المختلفة، الاجتماعيّة والثقافيّة. انّ بعض هذه الكلمات مثل «الدين» و «الزمان» والمصطلحات المتعلقة بها كانت رائجة ولها أهمية كبيرة. انّ بعض الأمور كالزّراعة والموسيقي و البخارية و غيرها التي لم تعن كثيراً في شبه جزيرة العربيّة، قد اتّخذوا كثيراً من آلاتهم و المصطلحات المتعلّقة بها من الفارسيّة. مثلاً في موضوع الزراعة تلقى كلمات كمايلي:

بستان، كَرده و مَشارة (قطعات الأرض المزروعة)، مالق (ماله)[1]، سرقين[2]، بَيدَر و أنبار[3]. و كذلك اسم بعض الفواكه و النباتات، مثل: خربز[4]، خيار(قثاء)، ماش (حِمّص ـ جبّة)، رمّان (أنار)، جوز ـ لوز، توت، يونجه(قضّ أو قصقصه، و أيضاً حصير (بوري). و منها كلمات مربوطة بالبخارية، نحو: البوصي والبارجة و الشفينة، الجؤجوء، (قدام السفينة)، الشكّان، الأنجر، الساج.

و في أمور التجارة: قيروان (كاروان)، سمسار أوسفير، بريد (غيرفارسي)، الفرسخ، الدرهم و الدينار (غيرفارسي)، الدانق (دانگ).

من المعادن والوسائل المعدنيّة: فولاد، ابريز (الذّهبُ الخالص)، أسرب، وأنك سندان،

---

۱. وسيلة تسطيح الارض.
۲. لتخمير المواد العضائيه.
۳. بيدار، زوت.
۴. شمّام.

أبزيم (نوع من الحَلق)، زَردَ(زره)، سوار (دست‌بند)،قُرط(گوشوار) تور وطست وطاجن (نوع من الأنواع المعدني)، ابريق، كأس(؟)، هاون وكوره.(آذرنوش، ١٣٥٤: ١٥٢-١٥٤)

من أنواع الأقمشة والألبسة ونظائرها: الديباج، الدخدار، خسرواني، دمقس(؟)، سندس(؟)، خز، أبريسم،قزأ وقهز (اللّباس الصّوفي أبيض وأسود)، قبا شوذر (جادر)، نرمق (نوع من اللباس والبساط)، الكتان، كرباس(؟) وكذلك رسن (الحبل).

الجلد و وسائله: همیان (الصُرة أوجراب)، قفدان (ظرف جلدّي)، يَرندج، (روده) موزج، كفش أوقفش (الحذاء)، مَوق، سبنجونه(لباس من جلد ثعلب).

الطعام و وسائله: خشكنان ـ جردق، خورديق، فالوذج (پالوده)، خوان...

موسيقى: صنج، بربط(غيرفارسي)، سرناي، ناي نرم، ون، ونج، زير، بم... و عشرات الكلمات الأخرى التيدخلت الى العربيّة أو من طريق الألسنة السامية أوورد مباشراً من طريق الفارسيّة القديمة.(نفس المصدر، ص ١٥٤)

و من الواضح أنّ الأساطير القديمة و كتاب زردشت هي أقدم الآثارالفارسيّة الأدبيّة وقد انتقلت هذه الأساطير و معتقدات كتاب زردشت الى العرب قبل الاسلام فتحدّثنا كتب السّيرة أن النضربن الحارث كان اذا فرغ النبّي(ص) من مجلسه قام مقامه و قال: انّي سحدثكم بخير مماحدثكم به محمّد، ثمّ يقصّ عليهم ما وعي من أساطير رستم و اسفنديار.

كذلک نجد أسطورة الضّحاک اليمنيّ وأفريدون يتردّد صداها في الشعر العربي فنرى أباتمام في قصيدة يمدح بها الأفشين قائد المعتصم بعد قضائه على فتنة بابک الخرمي يشبه بابک بالضّحاک و قائد المعتصم بأفريدون الذي قضي عليه، فيقول:

ماناال ما قدنال فرعون ولا هامان في الدّنيا ولاقارون

بل كان كالضّحاک في سطواته بالعالمين وأنت أفريدون

وكان أبونواس ينتسب الى اليمن فقال يفتخر بالضّحاک:

وكـــان مـــنّا الضّـــحاك تـــعبيده الجامل[1] و الوحش في مسـاويها

(بدوي، ١٩٦٢م: ٧٩ و ٨٠)

و أسطورة قسمة أفريدون ملك العالم بين أبنائه الثلاثة سجّلها أحد شعراء الفرس المستعربين في الشعر العربي فقال:

وقســـمنا مـــلكنا فـــي دهـــرنا قســـمة اللّـحم عـلى ظـهر وضـم

وجـــعطنا الشـــام والروم الى مغرب الشمس الى الغطريف نسلم..

و هذه الاشارات في أقوال شعرائنا تدلّ على مبلغ رواج القصص والأساطير التي سجّلها الأدب الفارسي بين العرب، أمّا معرفة العرب بأديان الفرس و كتابهم الدّيني فقد تركت آثارها في الشعر أيضاً، فهذا أبوالعلاء المعرّي يقول:

قـال أنـاس بـاطل زعـمهم فـراقـبوا اللّـه ولاتـزعمن

فكـــر يـــزدان عـــلى غـــرّة فصيغ من تفكيره أعـرمن..

(امين، فجرالاسلام: هامش ١٠١؛ بدوي، ١٩٦٢م: ٨٠)

بعد الفتح العربي لايران بلغت الصّلة بين العرب و الفرس من القوّة منتهاها، كماجعل هذا الخلاط بينهم يزداد على مرّالايام، الى أن تألفت من العرب و الفرس أمّة واحدة هي الأمّة الاسلاميّة، كان حتماً من الحتم أن تنشر العربيّة في أرجاء البلاد، و اذا قطعنا النظر عن ضرورة فرض الغالب لغته على المغلوب كالمعلوم المعهود، فقد وجدالفرس مسّ الحاجة الى معرفة العربيّة لأنها لغة القرآن الكريم و الحديث الشريف وأحكام دينهم الجديد الذي دخلوا فيه أفواجاً. و أفضى ذلك بلغتهم الفارسيّة الى أن تنكمش في صدور قلة من أهل البلاد تعتبر محدودة ضئيلة اذا قيست بالكثرة الكاثرة. و لمدّة تبلغ قرناً و نصف قرن من الزمان، لاتبيّن أثراً للغة قوميّة الفرس و لانجد السبيل الى معرفة اللغة التي كانت تدور على ألسنتهم في هذه الحقبة معرفة دقيقة. والمعلومات التي نستمدّها من

---

١. القطيع من الابل.

مظانّها تنقلنا مباشرة من تعبير عبدة النّار الى الفارسيّة الحديثة التّي يطغي العنصر العربي عليها، و كان الفارسي المتعلّم، حتي في الزمن المتأخّر مندفعاً الى التحرير بالعربيّة، مباهاة منه بالتضلّع من لغة صعبة، ممّا يرفع منزلته و يذيع شهرته، و يدلّ على أنّه يفهم القرآن حقّ الفهم، و يشير الى أنّه من أهل التقوى، كما يمهّد سبيله الى تبوء المناصب في الدّولة. و يؤيّد الثعالبي جانباً من هذه الدعوى بقوله: أنّ اللغة العربيّة نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب و العجم، و من هداه اللّه للاسلام و شرح صدره للايمان. اعتقد أن العربيّة خير اللغات و الاقبال على تفهّمها من الدّيانة، اذهي مفتاح التفقه في الدّين و أداة العلم و سبب اصلاح المعاش و المعاد، و لو لم يكن التبحّر فيها فلا قوّة في اليقين من معرفة اعجاز القرآن و اثبات النبوة (الثعالبي، ١٣١٧: ٢؛ مجيب‌المصري، ٢٠٠١م.: ٤٩ و ٧٩) و بذلک شاعت العربيّة و ذاعت، و أصبحت اللغة الرسميّة الى كونها لغة الدين و العلم و الأدب. و قد أحب الفرس العربيّة و تعلموها و حذقوها و حرصوا على الاسلام أشدّ الحرص، و ربّما فاقوا العرب في حرصهم هذا.(السامرائي، ١٩٩٤م.: ٥٢)

و كان بالكوفة و البصرة ديوانان، أحدهما بالعربيّة لاحصاء الناس و عطياتهم، والأخر لوجوه الأموال بالفارسيّة، و لمّا ولي الحجّاج العراق كان يتقلّد ديوان الفارسيّة آنئذٍ زاذان فروخ و خلفه عليه صالح بن عبدالرحمن، فخف على قلب الحجاج وحظي عنده، فقال لزاذان: انّه لايأمن أن يكون سبباً في عزله لتقديم الحجاج له و ميله اليه، و كان ردّ زاذان عليه أن قال: انّ الحجّاج لايستغني عنه لأنّه لايجد من يكفيه الحساب، فقال صالح: انّي لوشئت لحولته بالعربيّة، ثم حول منه شيئاً كثيراً، و أمر الحجاج صالحاً بنقل الدّواوين الى العربية في سنة ثمان و سبعين، و كان أكثر كتاب خراسان اذا ذاک من المجوس، فكتب يوسف بن عمر و كان يتقلّد العراق في سنة أربع و عشرين، و منه الى نصربن سيّار، فأمره الأيستعين بأحدمن أهل الشّرک في أعماله و كتابته، و كان أول من نقل الكتابة من الفارسيّة الى العربيّة بخراسان اسحاق بن طليق.(جهشياري، ١٩٣٨ م.: ٣٨ و ٦٧؛ نقلاً عن مجيب‌المصري، ٢٠٠١ م.: ٨٠)

و ممّا يحقّ علينا أن نشير اليه في اقامة الدليل على انتشار العربيّة و توطّدها في بلادالفرس أن هذا من حالها دام حتى نشأة الامارات الفارسيّة التي بعثت قوميّة الفرس بالخروج على الخلافة العباسيّة و اخضاعها لسلطانها، و أحيت اللغة الفارسيّة و آدابها، على أنّ ذلك أهم مظهر من مظاهر السيادة الفارسيّة و استرداد الفرس لكيانهم الحضاريّ، غير أنّ الفارسيّة لم تكن لتقوى على الوقوف الى جانب العربيّة وقفة غنيّة عنه لكلّ من أدركته حرفة الأدب، أو لحق بالخدمة في القصور، وأصبحت لغة العلماء و الأدباء من الفرس بحيث راجحت الفارسيّة قرجحتها.و كان المعبّرون بها أكثر عدداً من المعبّرين بالفارسيّة بما لامجال فيه للمقايسة. و هذا ماجرت عليه الوتيرة بمرور الزمان، فكانت جمهرة التآليف العربيّة للفرس، و الكثرة الكاثرة للتراث الأدبي العربي لذوي السجيّة في القول منهم. و قد فسّرلنا ابن خلدون هذه الظّاهرة في مقدّمته بقوله: أنّ حملة العلم في الملّة الاسلاميّة أكثر هم العجم، و السّبب في ذلك أنّ الملّة لم يكن فيها علم ولاصناعة لمقتضي أحوال السذاجه و البداوة، و انما كان الرّجال ينقلون أوامر اللّه و نواهيه في صدورهم و قد عرفوا مأخذها من الكتاب و السّنة بما تلقوه من صاحب الشرع و أصحابه، و القوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم و التدوين ولادفعوا اليه، و جرى الأمر على ذلك زمن الصّحابة و التّابعين. و من بوم دولة الرشيد فمابعد، مسّت الحاجة الى وضع التفاسير القرآنيّة و تقييد الحديث مخافة ضياعه، و معرفة الأسانيد و تعديل الناقلين، و فسد اللسان فاحتيج الى وضع قوانين النحو، و أصبحت العلوم الشرعيّة ملكات في الاستنباط و الاستخراج والقياس، و احتاجت الى علوم أخرى هي وسائل لها، و بذلك أصبحت حضريّة و بعُد العرب عنها، و أهل الحواضر الذين يتبعون العجم في الحضارة و أحوالها،لأنّ الحضارة راسخة فيهم منذ دولة الفرس. و هذا ما يفسّرلنا لماذا كان صاحب صناعة النّحو سيبويه والفارسي من بعده و الزجّاج من بعدهما، و كلّ هؤلاء عجم في أنسابهم، و انّما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بمرّباهم و مخالطتهم للعرب، كما أنّ أكثرجملة الحديث من العجم، و كان علماء أصول الفقه جميعاً عجماً، و كذلك حملة علم

الكلام و معظم المفسّرين، وما حفظ العلم و دوّنه الا الأعاجم، و لا شكّ أنّ هذه الحقيقة مصداق لقوله صلى اللّه عليه و سلم:«لو تعلّق العلم بأكناف الثريّا لناله قوم من أهل فارس».(مجيب‌المصرى، ٢٠٠١ م.: ٨٠ و ٨١)

و قد حاول الخلفاء أن يقضوا على الفارسيّة في ايران، فأبطلت الكتابة الفهلويّة و أصبحت لغة القرآن لغة الادارة، و أصبحت لغة العلم و الدّين و الشّعر و المعبّرة عن كلّ فكرة، و لمّا نشأت الدّويلات المستقلّة، ظهرت الفارسيّة في الطبقات الشعبيّة حيث لم يكن في الامكان أن تستأصل منها» ثمّ وجدت سبيلها من بعد الى البلاط والأدب. و ممّا لاريب فيه أنّ الشعراء كانوا يعتزون بالنظم في العربيّة و استخدام أوزان شعراء الصحراء، غيرانّهم بدأوا يصبون اللّغة الدّارجة في قالب الشعر العربي، و بذلك ظهر أدب قومي في ظلّ أدب أجنبيّ.

و من عجب أنّ العربيّة و الفارسيّة قد التقتا لدى أوّل من جرى الشعر الفارسي على لسانه و هو بهرام جور الذي تربي في الحيرة و حكم باسم بهرام الخامس في ايران من عام ٤٢٠ الي عام ٤٣٨، فيقول الرّواة: انّ الشعر الفارسي بدأ به، و يردّون له بيتاً بالفارسيّة و أبياتاً بالعربيّة.(الرازى، ١٩٠٦م.: ج ١، ص ٢٠)

امّا البيت الذي قاله بالفارسيّة فهو «أنا ذلک الفيل المخوف و اللّيث الهصور كنيتى بوجيلة و اسمي بهرام جور».[1]

أمّا ما ينسب الى بهرام جورمن شعر عربّي فمنه قوله:

أقـــول له:لمّـــانظرت جـــنوده كأنک لم تسمع بصولات بهرام

و أنـــي حـامي ملک فـارس كلّه و ماخير ملک لايكون له حامي...

و هذا ما يذكرنا بحقيقة مشابهة تبدو العلاقة فيها واضحة بين الفرس و العرب، حينما تظهر الفارسيّة أوّل ماتظهر كلغة أدب. فلما قدم المأمون مدينة مرو عام ١٩٣ هـ استقبله

١. منم آن پيل دمان و منم آن شير يله نام من بهرام گور و كنيتم بوجبله

شاعر فارسي بقصيدة فارسية يمدحه فيها، و هو عباس مروزيّ الذي كان واسع العلم بالعربية، و يعتبرالشاعر الثاني الذّي جرت الفارسية على لسانه قبل استقلال الدّويلات الفارسية عن الخلافة العباسية.(رضازاده شفق، ۱۳۲۱: ۳۵)

و من مدحته قوله: يامن أسميت بالعزّ مفرقك الى الفرقدين، و بجودك و فضلك بسطت في الدّنيا اليدين، انّ الخلافة تليق بك كما تليق بالانسان العين، أنت لازم لدين الرحمن، كما تلزم للوجه العينان.[1]

و ممّا يستحق النظر، أنّ هذا الشاعر يذكر في بيت تالٍ أنّ أحداً لم يسبقه الى صنيعه، ممّا يؤيّد أنّه أوّل شاعر فارسي مدح خليفة عربيّاً بشعر فارسي. و هذا مايشير الى أنّ الفارسيّة ظلّت حيّة و ان بهرتها العربيّة، و كان لها كيانها و ان طلت حقبة طويلة لغة قوميّة لارسميّة، فهي تدور على الألسنة و لاتظهر في الصّفحات، و تحيا حياة خاصّة بين أبنائها، لاحياة عامّة متعدّدة النواحي، حتى قيل: انّ الفرس كانوا في بعض البلاد عاجزين تمام العجز عن التكلّم بالعربيّة، واضطرّوا في أوّل الأمر الى الصّلاة و ترتيل القرآن بالفارسيّة...(الترشحي، تاريخ بخارا: ۷۵)

ففي اوائل القرن الثالث الهجري نشأ في وسط آسيا و خراسان لغة أدبيّة تسمّى في مختلف المصادر التاريخيّة و الأدبيّة الدريّة، نسبة الى «دره» بمعني الباب في الفارسيّة والمراد به باب القصر، أو «درّه» بمعني الوادي. ولكنّ الأرجح أنّ اسم هذه اللغة مشتقّ من الواقع التاريخي لهذا العصر الذي نسب فيه الأدب الى قصور العظماء ليس الّا وظلّ اسم هذه اللغة يطلق على الفارسيّة الأدبيّة، و لا سيّما في المدّة بين القرن الثالث و الخامس الهجري. وقد فسّرت هذه الكلمة تفاسير شتّى يوردها صاحب «برهان قاطع». و نوردهنا من كلامه قوله: انّ النّبي صلى الله عليه و سلّم قال:«لسان أهل الجنّة عربي أو فارسي دريّ». و هذا القول يعني، لنا أن نتصوّر وجود الفارسيّة الى جانب العربيّة و ندرك ما

---

۱. آن رسانیده به دولت فرق خود بر فرقدین گسترانیده به جود و فضل در عالم یدین
در خلافت را تو شایسته چو مردم دیده را دین یزدان را تو بایسته چو روح را هر دو عین

بينهما من صلة المعيّة، غير أنّ هذه اللغة الفارسيّة... تطوّرت على مرّ الايّام فتأثرت بالعربيّة و تسرّب اليها مالايحصى من مفردات العربيّة و تعابيرها، بل انّ أصول الصّرف و الاشتقاق في لغة العرب وجدت اليها السبيل. فكأنّ الفرس قد بعثوا لغتهم على أنّها أهّم مظاهر قوميّتهم، غيّرأنّها عجزت عن أن تقف مع العربيّة على قدم المساواة فخضعت لسيطرة لغة الضّاد واستندت اليها و استعارت منها، ثم انبثق في الوجود ما يعرف بالفارسيّة الحديثة، و هي رابعة أربع لغات فارسيّة، أوّلها الفارسيّة القديمة و هي لغة قورش ودارا... أمّا اللّغة الثانية فهي لغة الأبستاق و هو كتاب الفرس المقدّس الذي جاءهم به زردشت. اللغة الثالثة هي الفارسيّة الوسطى أو الفهلويّة، التي استعارت من الآراميّة خطّها، والآراميّة لغة ساميّة كالعربيّة. ولاغرو فقد تجاور الفرس والآراميّون عدّة قرون بين النهرين و تبادلوا الألفاظ الفارسيّة والآراميّة، فتسرّب كثير من ألفاظ كلّ منهما الى الأخرى، ولمّا اتسع الفرس في الفتوح استخدموا الترجمة للترجمة عن الآراميّة التي اتخذوها لغة رسميّة.(مجيب‌المصرى، ٢٠٠١ م.: ٨٤ـ٨٦)

فاذا انتقلنا الي الأدب الفهلوي أو الأدب الفارسي الوسيط و هو يستمدّ جانباً هامّاً من مواضيعه و أفكاره و معانيه من الأدب القديم، رأينا الصّلات بين الأدبين الفارسي و العربي تبلغ شأواً بعيداً في احكام الأواصر بينهما، ذلک لأنّ كثيرين من مثقفي الفرس دخلوا الاسلام و أجادوا تعلّم اللّغة العربيّة و برعوا فيها، و كتبوا و ألفوا بها فنقلوا اليها الكثير من الأفكار و المعاني و العقائد التي ورثوها عن الأدب الفهلوي، واستحدثوا فيها من الأساليب مالم يكن للعرب عهد به من قبل، و ترجموا اليها كثيراً من الكتب الفهلويّة فاقتضتهم التّرجمة أن يستخدموا الأساليب الفهلويّة بلسان عربي مبين، وأصبح الأدب العربى ـ الذي عرفناه في الجاهليّة أدب الشعر و الحكم والكلمات و الخطب القصار ـ أدباً غنيّاً بالأساليب و المعاني الجديدة التي لم يكن للعرب بها عهد قبل الاسلام، و دوّنت بلغة العرب علوم شتّى فياللغة و الفقه والحديث و التفسير و السيّر و القصص و التاريخ والبلاغة و الفلسفة والكلام و الجغرافيا و الطبّ و الكيمياء، و قدساهم الفرس بالنصيب

الأوفى في كلّ هذا و مهّدوا له بتوسعة أساليب الكتابة العربيّة و استحداث فنون شتى فيها لأنّهم كانوا أقرب الأمم الى العرب وأكثرها اندماجا و اختلاطاً بهم.

و يستخلص مما ذكره الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الاسلام (امين، فجر الاسلام: ١٢٢-١٢٣) انّ الفرس في أواخر عهد الدّولة الأمويّة حوّلوا الكتابة العربيّة الى نمط آخر لم يكن يعرفه العرب و هو نوع الكتابة التي اشتهر بها عبدالحميد كاتب مروان بن محمّد آخر ملوك بني أميّه، و ينقل عن صاحب العقد الفريد أنّه كتب لعبد الملك بن مروان وليزيد ثمّ لم يزل كاتباً لخلفاء بني أميّة حتى انقضت دولتهم، ويروى عن ابن خلكان أنّه كان في الكتابة و في كلّ فنّ من العلم و الأدب اماماً و عنه أخذ المترسّلون و لطريقته لزموا و لآثاره اقتفوا و هو أوّل من أطال الرسائل و استعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل النّاس ذلك بعده، و قد كان عبدالحميد من الموالي وأصله من الأنبار و أخذ الكتابة عن أصهره سالم مولى هشام بن عبدالملك ويضيف الى هذا مانقله عن أبي هلال العسكري من كتاب ديوان المعاني (بدوى، ١٩٦٢م: ٨١-٨٢)

«وكان عبدالحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحوّلها الى اللسان العربي».

و كما انتقلت أساليب الكتابه الفهلويّة الى النثر العربي انتقلت كذلك الألحان الفارسيّة الى أغاني العرب و انتقلت رسوم و آداب مجالس الغناء عن الأكاسرة الى بلاط الخلفاء فكان لذلك تأثيره في الشعر العربي اذا أخذ الشعراء يصوغون أرقّ العواطف في أخفّ الأوزان و أرشق العبارات التي تلائم الألحان الموسيقيّة الوافدة من بلاد فارس (نفس المصدر، ص ٨٢)

و من الطبيعي أنّ التأثير الفارسي في الحياة العبّاسيّة وأدبها لم يقتصر على ميدان واحد، بل امتدّ الى ميادين شتّى من تلك الحياة و ذلك الأدب و هو ميدان الترجمة و النقل اللذين اتسع نطاقهما في العصر العبّاسي كانت الفارسيّة التي احتكّ بها العرب في أوّل أمرهم لغة العلم و الحضارة في عصر الساسانيين و في أنحاء امبراطوريتهم الشاسعة

من العراق حتّى حدود صُغد و خوارزم، و كانت تحوي فنوناً مختلفة من آداب السيّاسة والحكم، الى الأدب التعليمي والأدب الأخلاقي، و أدب الرّسائل و العهود، و الخطب والحكم والتاريخ و السيّر و التراجم و غيرها من الفنون المعروفة.

و نرى في هذه اللغة منذ عهد أنوشروان نهضة علميّة و أدبيّة شاملة تهدف الى نقل آداب أمم أخرى عريقة سواها، فترجم اليها من الهندية بعض كتب أدبيّة معروفة جاء بهاوفد أرسله هذا الملك الى الهند لجلب كتب في الطبّ و غيره، كما ترجم اليها بعض الكتب اليونانية في المنطق والحكمة و سواهما ممّا نقل منها فيها بعد الى العربيّة، فكانت الفارسية واسطة نقل المعارف في عصر ماقبل الاسلام، وقدترجم عنها عدّة كتب الي السُّريانيّة في ذلك العصر، منها ماكان قد نقل اليها من لغات أُخرى، كتاريخ الاسكندر الذي كان قد نقل اليها من اليونانيّة و ككتاب كليلة و دمنة الذي كانت أقسام منه منقولة عن الهندية و الذي ترجم الي السُّريانيّة قبل الاسلام، و ككتاب السندباد، الذي ترجم اليها في القرن الثامن للميلاد، بل انّنا نرى الكنيسة الايرانيّة قد تبنّت اللغة الفارسية البهلويّة لغة دين و تبشير، و كا ن النساطرة يستعملونها و يتداولونها في كلّ المناطق الشرقيّة، تدلُّنا على ذلك نقوش سُريانيّة باللغة البهلوية موجودة في كنائس جنوب الهند، و قد عدّ بعض المحققين سنة منها يرجع تاريخها الى سنة ٤٣٠ ميلاديّة، اي أنّها نقشت قبل اصلاح الكنيسة و طرد النّساطرة من بلاد الرّوم.(حكمت، نقش پارسی بر احجار هند:٩ و ١٠؛ محمدی، ١٩٦٧م.: ٩٤ و ٩٥)

و كتاب الفهرست لابن النديم عمدتنا في هذا الصدّد. و قد عقد المؤلّف فصلاً في كتابه بعنوان النقلة من الفارسيّ الي العربي، فذكر ابن المقفع أوّل ما ذكر، ثمّ آل نوبخت، و موسي و يوسف ابني خالد، و كانا يخدمان داود بن عبدالله بن حميد و ينقلان له من الفارسيّة الى العربيّة، ثمّ ذكر علي بن زياد التميمي و قال: انّه نقل من الفارسي الى العربي، و ممّا نقل زيج شهريار. و قال: انّ البلاذري نقل من اللسان الفارسي الى العربي، و انّ جبلة بن سالم كاتب هشام كان ناقلاً الى العربي من الفارسي. ذكر أنّ اسحاق بن يزيد نقل كتاب سيرة

الفرسي المعروف بـ (اختيار نامه)، الى أن ذكر موبد مدينة نيسابور بهرام بن مروان شاه و عمر بن الفرخان.(ابن النديم، ۱۳۴۸: ۳۴۱ و ۳۴۲)

و أوّل ما يذكر، هو أنّ النقل الى العربيّة انّما كان عن الفهلويّة، و هي لغة الفرس الرسميّة في العصر الساساني، كما يسبق الى الفهم من أنّها الفارسيّة التي وجدت بعد الفتح العربي. و اذا ما حاولنا أن نتصوّر حركة النقل الي العربيّة تصوّراً تاريخيّاً، تبيّنا أنّ كتاباً قديماً من كتب الفرس بعنوان «هرفتاي تامك» بمعنى كتاب السّادة، وقع للعرب أثناء فتحهم لفارس. و هو لعالم يسمّي دانشور يظنّ أنّه عاش في بلاط يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين، سرد فيه تواريخ ملوك الفرس منذ أوّل أمرهم الى كسرى بروين، و أمر الخليفة عمر بترجمة قدر منه له، فعرف أنّ مؤلفه يمجد المجوسيّة ولذلك طرح بين كومات و كومات من غنائم العرب، ثمّ حمل الكتاب الي الحبشه و الهند الى أن أعيد الى ايران.

و للفرس كتاب بعنوان كاهنامه و فيه ذكر لستمائه من رجال الدّولة على حسب رتبهم فيها، و هذا الكتاب يشكلّ قسماً من كتاب يسمّي آيين نامه بمعني كتاب الرّسوم، و هو كتاب صفحاته بضع مئات و في هذا الكتاب صور الملوك الساسانيين و هم سبعة... و خمسون ملكاً و ملكتان، و قد بدا هؤلاء في هيئتهم عند العمات سواء أكانوا في شبابهم أم في شيخوختهم، و لبسوا تيجانهم و كامل زيناتهم... و آيين نامه من الكتب عظيمة الأهميّة في العصر الساساني، و ينبغي اعتباره مصدر تاريخيّا. و قد افاد من هذا الكتاب كثير من كبار مؤرّخي و كتاب الاسلام في التعريف الى تاريخ فارس، و منهم من اقتطف نصوصاً ضمنها مؤلفاته، و ذلك ترجمة ابن المقفع، كابن قتيبة و الثعالبي.(منشي، ۱۳۲۸، المقدمه، نقلاً عن مجيب المصري، ۲۰۰۱م: ۹۹ و ۱۰۰)

كانت الصّلة بين العرب و الفرس في مظهر لغوي أدبي هو التقاء الفارسيّة و العربيّة جميعاً في ألسنة بعض من شعراء و بلغاء الفرس يعرفون بأصحاب اللسانين لأنّهم عبّروا بالفارسية والعربيّة، و بذلك تواكبت اللغتان و ارتبطتا بثقافة اسلاميّة موحّدة لم تكد

تتغاير جوانبها الا في الصّورة. ولاشک في أن هو الأقرب بين اللغتين، وأتّم الاندماج بين الشعبين، و هذه الظاهرة تبعثنا على الجزم بأنّ الفارسيّة و العربيّة كانتا في كفتي ميزان، ان رجحت احداهما شالت الأخرى، غير أننا نمثل العربيّة و الفارسيّة كفتي ميزان و نحن نعرض لهؤلاء البلغاء المعروفين بأصحاب اللسانين. ذلک لأنّ منهم من كان اهتمامه باحدى اللغتين أكثر من اهتمامه بالأخرى. و من أكثر تأليف بالفارسيّة قبل تأليفه بالعربيّة و هذا يطّرد عكساً، كما يلحظ أنّ درجة الاجادة في اللغتين عندهم ليست واحدة.(المجيب‌المصرى، ٢٠٠١ م.: ١١٥ و ١١٦)

و من أصحاب اللّسانيين الأمير قابوس بن وشمگيرالزياري، المتوفى عام ٤٠٣ هـ وأبوالفتح بستي، صاحب ديوانين، أحدهما بالعربيّة و الآخربالفارسيّة و عمرالخيّام(ق.ه.)

المصادر و المراجع

آذرنوش، ١٣٥٤. طرق نفوذ الفارسيه في ثقافة العرب و لغتهم قبل الاسلام. منشورات جامعة طهران.

الأصفهاني، ابى‌الفرج. ١٤١٢ هـ ق. / ١٩٩٢ م. الأغاني. طبع ٢. بيروت: دارالكتب العلميه.

ابن‌النديم، ١٣٤٨. الفهرست. ترجمه رضا تجدد. القاهره: طبعة فلوجل.

ابن خلدون، عبدالرحمن. مقدمة ابن خلدون. بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ابن عبد ربه. ١٩٨٦ م. العقد الفريد. بيروت: منشورات دارالكتب الهلال.

ابن هشام. ١٩٣٦. السيرة النبويه. القاهره.

امين، احمد. فجر الاسلام. القاهره.

بدوى، امين عبدالمجيد. ١٩٦٢ م. الدراسات الادبيّه. الجامعة اللبنانيه ـ السنة الرابعة، العدد الاول.

البيضاوى، قاضى ناصرالدين. ١٩٤٧م. تفسير بيضاوى. قاهره.

پيرنيا، مشيرالدوله. ١٣١١ هـ ق. ايران باستان. (الأثريه). طهران.

الثعالبی، ابی‌المنصور. ۱۳۱۷. فقه اللغة. القاهره.

ـــــــــــــــ، ۲۰۰۱ م. فقه اللغة و سر العربیه. تحقیق یاسین الأیوبی. ط ۳. بیروت: المکتبة العصریه.

جاحظ، ۱۴۱۰ هـ ق. / ۱۹۹۰ م. البیان و التبیین. تحقیق و شرح عبدالسلام محمد هارون. بیروت: دارالجیل.

ـــــــــــــــ ۱۹۱۴ م. التاج فی اخلاق الملوک. قاهره.

جودت، احمد. ۱۳۰۰. قصص الانبیاء و تواریخ خلفاء. استانبول.

جهشیاری، ۱۹۳۸ م. کتاب الوزراء و الکتاب. القاهره.

حکمت، علی‌اصغر. نقش پارسی بر احجار هند.

خیام، عمر. ۱۳۴۳. نوروزنامه. تصحیح مجتبی مینوی. طهران: مطبعة روشنایی ـ کاوه (۱۳۱۲).

دهخدا، علی‌اکبر. ۱۳۳۹. لغتنامه. طهران: مطبعة جامعة طهران.

الرازی، شمس قیس. ۱۹۰۶ م. المعجم فی معاییر اشعار العجم. لیدن.

رضازاده شفق، صادق. ۱۳۱۴ (طبعة السادسه: ۱۳۲۱). تاریخ ادبیات ایران. طهران: امیرکبیر.

الزرکلی، خیرالدین. ۱۹۸۶ م. الأعلام. طبع ۷. بیروت: دارالعلم للملایین.

زیدان، جرجی. ۱۳۶۹. تاریخ تمدن اسلام. ترجمه و کتابة علی جواهر کلام. طهران: امیرکبیر.

السامرائی، ابراهیم. ۱۹۹۴ م. الأعلام العربیه. بغداد.

صفا، ذبیح‌الله. ۱۳۶۹. حماسه‌سرایی در ایران. طهران: امیرکبیر.

طبری، محمدبن جریر. ۱۳۷۵. تاریخ الرسل و الملوک. (تاریخ طبری). ترجمة ابوالقاسم پاینده. طبع ۵. طهران: اساطیر.

علی، جواد. تاریخ العرب قبل الاسلام.

القفطی. اخبار الحکماء. طبعة بغداد.

القلقشندی، ابی‌العباس احمدبن علی. صبح الأعشی فی صناعة الانشاء. القاهره: عالم الکتاب.

محیب‌المصری، حسین. ۱۴۱۲ هـ ق. / ۲۰۰۱ م. صلات بین العرب و الفرس و الترک. القاهره:

دارالثقافية للنشر.

محمدی، محمد. ۱۹۶۷ م.: الأدب الفارسی. طبع جامعة لبنان ـ بیروت.

معین، محمد. ۱۳۵۳. فرهنگ فارسی. ط ۲. تهران: امیرکبیر.

المقریزی، ۱۹۴۱ م. امتاع الأسماء. القاهره.

منشی، نصرالله. ۱۳۲۸. کلیله و دمنه. تصحیح عبدالعظیم قریب. طهران.

النرشخی. تاریخ بخارا. طهران.